هـــؤلاء كلاب !

للأستاذ الحومانى

« ليعلم أعيان الأدب والعلم فى مصر ان التنفس منهم يثير حفيظة كل عربى فى كل قطر عربى »

يسألنى السيد كرد على ، ونحن فى قاعة المجمع العلمى بالشام، وحوله ثلة من زملائه : ما وراءك فى مصر؟ فقلت : إن اخوانك فى مصر يعتبون عليك بقسوة إذ لم تحسن ذكرهم فى مؤلفك الأخير « الذكرات » فقال : ان هؤلاء كلاب ..

تلك هى الجملة التى صدمنى بها وهو مزهو يتميز فى كرسيه ثم يدور به إلى الجهة اليسرى ليقابل جاره وهو يقول: « الأستاذ الحومانى يأتينا من مصر بأخبار طريفة ، بينما يعود إلينا الأستاذ المغربى من القاهرة وكأنه يفد علينا من الصين »

كنت أرقب ولو كلمة واحدة من هؤلاء الذين يحدقون بالسيد كرد على كما تحدق البطانة بالملك منهيبين مكانته شاخصين إلى وجهه حتى كأنه الصنم المعبود فيهم، ولم تشأ صراحتى التى فطرت عليها أن أسكت ، ثم لم يشأ لى الحق الذى تأديت عليه منذ كتبت وخطبت أن أقر عند الرئيس على زلته التى لا يتسع لها صدر الحر ، ولا يجمل برجال المجمع العلمى أن يحدث مثلها فى قاعة مجمعهم وهم شهود ثم يسكتون عليها — من أجل ذلك قلت له : ليس مثل هذا القول جديراً بأخوانك المصريين وفيهم من نحن مدينون لهم فى علمنا وأدبنا وسياستنا؛ ولمل مصر وجهتنا الأولى فى كل ما نتقوم به من عناصر الحياة .

فأعاد القول محتفظاً بنفس الجملة وزاد عليها : إنهم لا يريدون إلا التهويش. ثم يقفل الباب ويتجه صوب السيد الهندى عباس اقبال ويخوض معه فى حديث كأن ختام طعنه على مصر وأدباء مصر

وكنت حريصاً على أن أتفرس فى وجوه القوم لعلى أرى منهم ما يشير إلى تذمر أو إنكار فإذا بهم صموت يتهامسون فيما لا يمت إلى حديث رئيسهم بصلة ما ، وإذا بى لا أرى شافياً لنفسى غير أن أغادر مجلسهم هذا .

وأعود إلى دابى من الطواف على مجالس دمشق وأنديتها ومن أتوسم فيه الأدب والعلم والفن من رجالها ، وعلى كل سمع ألقى هذا الحديث فإذا هم جميعاً ينكرون على « كرد على » ما بدر منه ، وإذا على كل لسان منهم شىء يصمونه به وأنه أصبح فى الدور الأرذل من عمره حتى طلب إلى أديب فاضل أن أشفق على هذا الرجل ، وأحبس قلمى عنه لأنه فى دور يستحق الاشفاق .

أما أنا فلم أر من كل ما دار حول هذا الحديث فى مجالس هؤلاء الأساتذة : من حوار ينتهى أكثره إلى أن هذا الرجل قد خرف، وأن هذه الزلة ليست الأولى منه.

أقول : لم أجد فى كل ذلك مكفراً عن سيئات هذا الرجل ، وحائلا دون أن أعلق على مجلسه بما يستحقه من تعليق :

هؤلاء السادة ، ومنهم من هو فى صميم المجمع ، يقرون أنه أصبح ضعيف العقل ، وأن أقواله ليست من المنطق بحيث يحاكم عليها، وأنه إذ يقول فيزل، اخلق باشفاق السامع الحكيم وتغاضيه من أن يحاسبه على قوله ، ويعاقبه على زلته ، هؤلاء السادة يقرون ذلك ثم يجلسون إليه ويحدقون به ويخشعون له ولا ينكرون عليه شيئاً مما يقول ، فهل هم فى ذلك مخلصون له ولمجمعهم ثم لأنفسهم من وراء ذلك كله ؟

قد أعجب ويعجب القارىء معى أن كلامنا ينكر على الحكيم أن يكون مرؤوسا للسفيه وهو قادر على تحرير نفسه من رئاسته ، وها هم أعضاء المجمع أو الحكماء منهم يقرون بسفاهة رئيسهم ثم لا يفكرون فى تحرير نفوسهم من سفاهته . ولعلهم يفتخرون فى انتسابهم إلى مجمع هذا رئيسه ، ويحاسبون كل صحيفة تنشر أقوالهم غفلا من هذا الانتساب .

ما أسفه الناس إذ يضعون حداً للمناظرة فى العلوم والآداب ، والمناظرة نوع من الأدب المطلق الذى يكبر عن التحديد ، فكم

يعجبني قول الامام علي ، وهو يوصي بالتواضع ويبالغ في الحث على التخلق به حتى قال : التكبر على المتكبر هو عين التواضع » فإذا صدق في عرف أمام البلغاء أن التكبر قد يكون تواضعاً حيناً ما ، فلم لا يصدق على السفاهة في الأدب أن تكون عين الحكمة حيناما ؟؟

فلنخاطب كرد علي بنفس المنطق الذي يخاطب به الناس ، أفليس أديباً في عرف المستخذين له ؟ فإذا خاطبناه بمنطقه لم نخرج في عرف هؤلاء المستخذين عن حدود الأدب ، والسيد كرد علي ، إذ يعلم أركان مجلسه وأعضاء مجمعه أن الأدب وهن بمثل هذا المنطق ، خليق بأن يناظر فيه ، لأنا نسيء إليه وإلى المجمع العلمي إذ نتجاوز عنه فيحسب أنه على حق وينمادى في غيه فنكون أداة لتضليله فيما يقول .

لنسأل هذا « الأديب » عن أي المصريين من علماء وأدباء يستحق لقب الكلب في منطقه ؟؟ ثم يستحق هذا المصري أن ينبزه رئيس المجمع بهذا اللقب في ندوة المجمع وهي مشاع لأعيان العلم والأدب في الشام التي تؤاخي مصر ، وعلى مسمع من أناس لا يرون في مصر إلا العلم والأدب اللذين هما علم الشام وأدبه ، ثم لا يرون في مجمع العلم المصري إلا اخواناً يتضافرون معهم على أحياء التراث العربي وتغذية هـــذا التراث بما يعززه وينميه على التاريخ ؟؟

لقد زرت مصر وزرت فيها منتدى لجنة التأليف والترجمة والنشر أكثر من مرة ، يجتمع أعضاء هذه اللجنة على رأس كل أسبوع فإذا هم مجمع علمي أدبي يضم أعيان العالم العربي اليوم أمثال أحمد أمين وأحمد حسن الزيات وأحمد موسى وتوفيق الحكيم وعبد المنعم خلاف ومحمد فريد أبو حديد ومحمد عبدالله عنان ومحمد عوض محمد وعبد الوهاب عزام وحسين مؤنس ومحمود الخفيف وابراهيم المازني وزكي نجيب محفوظ وكثير غيرهم ؛ وكانت مجالسهم هذه تفيض بالحوار العبقري حول ما يضطرب له العالم من مشكل سياسي وأدبي واجتماعي ، فكنت والله أذكر بمجالسهم ما نقرأ عنه في عهد المأمون من مرابد ومعاهد ، فهل في هذا المجلس من يستحق ما ينبزه كرد علي به من تلك الألقاب ؟

ينقل الى السيد أنور المطار : أن كرد علي هذا عندما رجع من مصر كان داعية كبرى لهؤلاء النفر « أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر » وأنهم بالغوا في الحفاوة به ، وأنهم بعد تكريمه أدخلوه حجرة راعه منها شكل هرم كبير مكون من الكتب التي أخرجتها هذه المؤسسة من عالم الخط والمجمة إلى عالم الطباعة والتعريب ، وقد كان هذا الهرم معدا ليهدى إلى رئيس المجمع العلمي العربي الذي يطلق بعد الأهداء على المهدين لفظ الكلاب ... ! !

وزرت دار الأهرام فجلست إلى أسرتها التي تتألف من الأساتذة زكي عبد القادر وكامل الشناوي واحمد الصاوي وعزيز ميرزا ومحمد الكاظم وغير هؤلاء ممن نقرأ لهم في الأهرام أم الصحافة في العالم العربي وفي غيرها من مؤلفات وصحف ، فهل في هؤلاء من يلزم السيد كرد علي فيصدق عليهم لفظ كلاب؟؟

وزرت إدارة الثقافة بوزارة المعارف مراراً وفيها من أعيان الأدب والفن أمثال الأستاذ مفيد الشوباشي وزملائه الأدباء كامل محمود حبيب وأنور المعداوي وعباس خضر وأحمد عطيه وبدران والمنفلوطي وغيرهم من أعيان مصر ، وكانت لهم في هذه الدارجولات في الأدب والسياسة والفنون تغذي العالم العربي كله ، فهل هؤلاء الذين يعنيهم أبو « طريف » بقوله : أنهم كلاب ؟ ؟

وكنت أزور المجمع اللغوي فاجتمع فيه إلى ثلثه من أهل العلم والأدب أمثال عباس العقاد وعبد الوهاب خلاف ومحمد الخضر حسين وعلي الجارم ولطفي السيد وكثير من أمثالهم يتناجون قبل البحث في ما يهذب اللغة العربية اليوم من تراثها النفيس وفيهم الحكمة والنضج والتفكير الذي يسود أقوالهم . فهل في هؤلاء من يعنيهم أبو « الخطط » بقوله : أنهم كلاب ؟

وزرت ندوة (الرسالة) وفيها بأكثر أعيان الأدب مساء كل اثنين من كل أسبوع فيحتدم الجدل بينهم ساعات يختمر فيها الفكر بما يدور عليه الحوار ، وعلى رأس المؤتمرين شيخ الأدباء أبو علاء صاحب الرسالة التي سلخت ثمانية عشر عاما من حياته وهو يعالج بها أدواء الأمة في علمها وأدبها حتى أوشكت أن تأكل كبده

وتذهب ببصره فهل فى هؤلاء من يستحق لقب الكلب على لسان التالد أبى طريف ؟؟؟

من هم الكلاب أيهـــا الرجل وأين هم هؤلاء الذين تصمهم بما أنت فيه ؟ أفى الجامع الأزهر عند الأساتذة فريد وجدى وعبد اللطيف دراز وعبد المجيد سليم ؟؟ أم فى الندوة الأدبية عند علوبة باشا وأحمد فهمى المعروسى وكامل الكيلانى ومصطفى الماجى وأمين حسونه والعوامرى؟؟ أم فى دار الهلال عند أباظه والطناحى ومؤنس ؟؟ بلى ... لعلك تعنى بلمزك النفر القائم على تهذيب الأمة فى جامعتى فؤاد وفاروق، اللتين تفيضان على الأمة العربية بخير ؟!!

يا لله الذين يقبضون على زمام الحكم فيهـــا وهم زعانف الأمة ، عنيت بالحكم حكم الأدب لا السياسة ، هذا هو أحد الحكام فيها يجلس إلى مائدته ثم يتلفت فيرى حوله أخلاطاً من الناس يحسب نفسه السيد فيهم ، فيتنحنح ويقول : إن فى مصر أناساً يعدهم الناس أعيان علم وأدب وليسوا فى الحقيقة إلا كلابا لا ترید إلا التهويش .

ولماذا ؟ لأنهم لم يعطوه حقه فيما كتب ؟ وماذا كتب ؟!

رحم الله رضا الركابى إذ كان يقول: « الغريب فى هذه الأمة العربية كيف تستخذى للأمر الواقع دون أن تفكر فى كنهه ؟! إن جل أهل الرأى من العرب يعلمون أن محمد كرد على إنما أخذ مكانته فيهم بعمله للافرنسى وهو إلى جانب التركى يتملق له ، ثم يعلمون أنه وهو يعمل للتركى كان يفتئت على العربى؛ فعمله « الصالح» إذن كان مزدوجا ، ومع هذا كله فقد أقروه على مكانته التى كانت وليدة هذا الازدواج »

ويقول عندما أخرج كرد على كتابه « الخطط » إذا لم يمكن احراق كرد على فلا أقل من احراق كتابه هذا لما فيه من خلط يعود بالسبة على الأمة التى أقرت كونه رئيساً للمجمع العلمى فيها ، والخلط فى كتابه هذا ماثل بين حملاته البهتانية على أهل بيت الرسول باسم الدين وكانا يعرف منزلته من الدين . وبين طعنه على الأتراك اليوم، وقد أخرج كتاباً يمدحهم فيه بالأمس، وبين كذبه فى أن الشام خرجت بأسرها لاستقباله يوم عوده من منفاه ، بينما كنت فى الشام وعرفت الذين استقبلوه فإذا هم بضعة نفر من أذنابه وأذناب المستعمر .

هذا حديث أفضى به إلى أحد أعضاء المجمع العلمى ورجانى أن أكتم اسمه إذ لا يرى من الضرورة التصريح به حتى إذا لزم هذا التصريح كان مستعداً للتصديق على ما يقول . وينقل إلى فاضل آخر من آل أبى الشامات ، ونحن فى مجلس الأستاذ نهاد القاسم فى دمشق فيقول :

« لقد عرض جمال باشا السفاح على أبى توقيع عريضة يثبت فيها صحة الحكم بإعدام الحسين بن على أبى فيصل من طريق الشرع فأبى والدى هذه الفتوى . ثم زاره السفاح مرة أخرى على انفراد وقال له : أنا أعلم أن السبب فى عدم توقيعك أنك طلبت من أنور باشا اعفاء السيد رشدى الشمعة من الاعدام فلم يشفعك فيه . ثم أخرج السفاح من جيبه خطاً بتوقيع كرد على يخاطب فيه السفاح بقوله : إذا لم تعدم رشدى الشمعة فليس فى هؤلاء المحكومين من يستحق الإعدام .

ويقول هذا الفاضل: زار المستشرق الأفرنسى ماسنيون دمشق ثم قصد المجمع ليأخذ حديثاً من كرد على ، وكان هذا غائباً فقلت للمستشرق إن الذى تحاول النقل عنه كذاب » فقال : وما يهمنا من ذلك ما دام يخدم أفكارنا وسياستنا. ويقول الناقل: إن السيد أمين سعيد كان شاهد هذا الحديث

تلك هى سيرة هذا الرجل فى بلده وأقبح من ذلك أنه لم يتورع فى ختام « خططه » عن الطعن الشائن الذى وجهه للمرحوم الدكتور رضا سعيد مؤسس الجامعة السورية ورئيسها ثم لا يندى جبين زملائه الخافقين به خجلا حين يقرون هذا الطعن وهم يرون بام أعينهم مئات الشباب المثقف يتخرجون من الجامعة السورية بفضل فقيدها على رأس كل عام ولم تتحرك فى واحد منهم عاطفة نبيلة تدفعه للدفاع عن الحق . وواء بهتانه هذا .

تلك هى آثار كرد على :

كتاب الخطط يطعن فيه أعيان الأمة قديمهم وحديثهم ، ومذكراته المحشوة بالبهتان على أعيان مصر علماء وأدباء، وما عدا ذلك حديث يلقيه فى ندوة المجتمع كل يوم ينال فيه من قوم نحن